مصر منذ أربعمائة سنة

(٣)

سفير البندقية في الاسكندرية

في يوم عيد الشعانين اقلعنا بعد الصلاة الى مدينة الاسكندرية . قلبثنا بين الماء والسماء مدة ثمانية ايام لم نرَ فيها البر . وفي ١٢ ابريل ظهرت لنا حصون ابي قير فلما رسونا في مرفإ ابي قير ارسل السفير في الحال رسولاً الى البر ليذهب الى الاسكندرية وهي على بعد ١٨ ميلاً من ابي قير ليعلم قنصل دوقيتنا بقدومنا ويستأذن لنا ان يرسو اسطولنا في مرفإها وامره ان يعلن السلطة المحلية بقدوم سفير مفوض من قبل حكومة البندقية لدى سلطان مصر

وفي اليوم التالي اقبل الى ابي قير السر لويزو دي سكودو سمسار البنادقة في الاسكندرية ومعهُ كثيرون لاستقبال السفير . اما ثغر ابي قير فقفر ليس فيهِ سوى بعض اكواخ للصيادين وحصن قديم قائم بين الصخور الرملية . وبعد يومين رجع الرسول من الاسكندرية ومعهُ رسائل من القنصل وجواز من اميرال البحر نائب السلطان في الاسكندرية [1] يأذن لاسطولنا ان يلقي مراسيهُ في هذا المرفإ . والجواز مكتوب باللغة العربية وبلهجة التودد والترحاب

اقلعنا من ثغر ابي قير في ١٧ ابريل ولما اشرفنا على الاسكندرية اقبل الينا مركبان مصريان مزينان بالاعلام ومفروشات بالمقاعد الحريرية المطرزة بالقصب ليقلا السفير وحاشيتهُ الى البر فركبنا فيهما فاوصلانا الى الميناء وكان قنصلنا وكل التجار الافرنج بانتظارنا وارسل الاميرال حاكم المدينة ونائب السلطان سبعة جياد مسرجة لركوب السفير واتباعهِ وخفرتهُ كوكبة من فرسان الاميرال وسار كل التجار والنزلاء الافرنج على اقدامهم في ركابهِ . وعند ما وصلنا الى دار البحرية استقبلنا الاميرال والداودار وهو حاكم البلد ومعهما شرذمة من الفرسان فرحبا بالسفير وسارا عن يمينهِ ويسارهِ ودخلنا الى المدينة باحتفال عظيم . وكانت الطرق والشوارع غاصة بالناس اقبلوا لمشاهدة سفير الافرنج ومررنا بفندق البنادقة [2] وكانت ابوابهُ مزينة ومجللة بالاقمشة الحريرية وطرقاتهُ مفروشة بالطنافس العجمية وعلى جدرانهِ شارات الدوقية المعظمة . وهناك انفصل عنا الاميرال الكبير وذهب

(١) كان هذا الاميرال وانصباي الامير قنصوه بردبي كما جاء في تاريخ ابن اياس سنة ٩٢٣ هجرية

(٢) وكالة كبيرة كانت تسمى بلغة الافرنج وقندق » يقيم فيها التجار وقناصلهم ويخزنون فيها بضائعهم

مع حاشيته الى قصره . واما الداودار فلبث مع السفير الى ان وصلنا الى سراي الاميرال فترجلنا عند الباب الخارجي ودخل السفير مع القنصل ورجال السفارة الى بهو كبير مفروش بافخر الرياش والسجاد وكان في صدر المكان منصة مرتفعة تدعى عندهم « مصطبة » مفروشة بالمقاعد والوسائد الحريرية والديباج والاميرال جالس عليها فجلس السفير على مصطبة مفروشة مقابلها . ثم اخرج من جيبه كتاب حكومة البندقية المثبت اعتماده سفيراً مفوضاً مرسلاً منها الى حكومة مصر . ففضّ الاميرال الرسالة واعطاها لاحد تراجمته فقرأها علناً وترجمها الى اللغة العربية . ثم قدمت المشروبات المرطبة للسفير فقط وتبادل مع الاميرال عبارات التحية والترحاب ثم استأذن في الانصراف وخرج وذهب بموكبه الحافل مع الفرسان والتجار الى القصر الذي اعدهُ الاميرال نائب السلطان لنزوله مدة اقامته بالاسكندرية . وهو قصر كبير فخم يحتوي على قاعات ومخادع كثيرة كلها مرصوفة بنقوش الفسيفساء والمرمر واعمدة الرخام والغرانيت واما ابوابهُ فكلها من الابنوس المجزع بقطع العاج والصدف . وفي هذا القصر ستون باباً على هذا الشكل يساوي كل بابٍ منها ثقلهُ ذهباً . وكذلك السقوف فكلها منقوشة بالزخارف والرسوم البديعة المذهبة

وصف الاسكندرية

ومدينة الاسكندرية مستطيلة الشكل لان بيوتها قائمة على طول شاطئ البحر وتسعة اعشار ابنيتها متهدمة كأنها اصيبت بزلزال . ومعظم سكانها فقراء من الحائكين والصيادين وقد هاجر اهلها الى البلاد الداخلية من ظلم الحكام وعسفهم واظن انهُ لا يمضي زمن طويل حتى تصبح قفراً بلقعاً . وقسم كبير من الابنية تحت الارض ظاهرها اكام متفرقة بين الخرائب القديمة . وفيها الآن عمودان قديمان (مسلتان) على مثال عمود القديس بطرس في رومية احدهما قائم والآخر ملقى على الارض وخارج السور عمود يقال لهُ « مسلة بومباي » ويقال ان رأس هذا القائد الروماني قطع هناك

وفي الاسكندرية مرفآن يقال لاحدهما المرفأ القديم وهو مرسى للمراكب المصرية فقط ولا يسمح لمراكب الافرنج ان ترسو فيهِ تحميهِ مدافع الحصون من الجانبين . والمرفأ الآخر الحديث وهو خاص بمراكب الافرنج ولا يسمح ان تدخل فيهِ او تخرج منهُ الاَّ باذن صريح من اميرال البحر نائب السلطان (انظر الصورة) وعلى بعد خمسة اميال من المدينة صهاريج كبيرة عميقة تحت الارض تملأ بمياه النيل في اوقات الفيضان وتجري منها تحت الارض بواقنية وتوزع على حارات المدينة

تهادي الاميرال والسفير

وفي صباح اليوم التالي ارسل الاميرال الى السفير بعض الهدايا على سبيل التحية والترحاب كصيف السلطان وكانت مؤلفة من عشرة خرفان وثلاثة سلال من الخبز وسل ليمون وثلاثة سلال من اللفت ومثلها من فريك الحمص (ملانة) وسلتين من البرتقال وعشرة سلال بجل وعشرين دجاجة . ولما وصلت هذه الاشياء الى السفير امر ان يعطى الحاملون اربع دوقات ذهب حلوانًا . وعند الظهر ارسل السفير الى نائب السلطان الهدايا الآتية وهي ثوب من الجوخ المنسوج بالذهب طوله اثنا عشر ذراعًا . وثوب آخر ذهبي اللون لا نقوش فيه وقطعتان من الحرير البرتقالي اللون وثلاث قطع من الحرير القرمزي طولها ١٥ ذراعًا وستة قوالب كبيرة من الجبن البندقي وزن قالب منها اربعون رطلاً . وحمل هذه الهدايا بعض اتباع قنصلنا (القواص) وقدمها ترجمان السفارة للاميرال فوهبهم عشرين دوقة ذهب

كتاب السلطان الى السفير

وفي ١٩ منهُ دعا الاميرال السفير الى قصره وسلّم اليهِ كتابًا ورد من السلطان الغوري بمصر متضمنًا عبارات الترحيب والتحية ومؤذنًا لهُ بالحضور الى مصر والمثول لديهِ . والكتاب باللغة العربية موضوع ضمن غلافٍ كبير مقفل بالصمغ وورقهُ متين مصقول واما سطورهُ فمتفرقة وبين كل سطر وآخر قيد اربع اصابع . فاخذ الداودار الكبير الكتاب وقرأهُ طلسًا ثم قبلهُ واعطاهُ للترجمان فقرأهُ باللغة الايطالية وكان السفير واتباعهُ والاميرال والداودار واقفين اثناء القراءة احترامًا للسلطان . ثم اخذ الداودار الكتاب من يد الترجمان وبعد ان قبلهُ ووضعهُ على رأسهِ اعطاهُ للاميرال وهذا وضعهُ على شفتيهِ وناولهُ للسفير فقبلهُ ايضًا ووضعهُ في جيبهِ ثم استأذن ورجع الى قصرهِ

ولبثنا في الاسكندرية عشرة ايام وقد اشار علينا نائب السلطان ان لا نبرحها لانتشار عصاة العربان في ضواحيها فقد قطعوا الطريق وعاثوا في المقاطعات الشمالية (البحيرة) نهبًا وسلبًا فارسل السلطان جنودهُ فقبضوا على زعماء العصاة . ولما استتب الامن سمح لنا بالسفر

وفي ٢٨ ابريل برحنا مدينة الاسكندرية واستأجرنا عشرين جملاً لحمل امتعتنا الثمينة وصناديقنا . واما براميل الخمر وباقي الامتعة فارسلناها في جرم الى بولاق بطريق النيل . وقد قصدنا رشيد لنسافر منها الى مصر في الفرع الرشيدي لكونهِ اكثر أمنًا . وعند المساء وصلنا الى ابي قير فنصبنا الخيام ولبثنا تلك الليلة هناك وفي اليوم التالي وصلنا الى رشيد

وهذه المدينة ذات بيوت حسنة قائمة عند مصب النيل وهو احد مصابّ السبعة . وضربنا خيامنا تحت شجر النخل خارج البلدة في مرج اخضر . ثم اقبل حاكم المدينة لتحية السفير وقدم لهُ هدية ست وزات وستين رغيفاً وقفة رزّ فقبلها بسرور وقدم لهُ بدلا منها ثوباً من الجوخ المخزع . ثم زرنا المدينة في صحبة الحاكم فادخلنا الى بستان كبير فيهِ كثير من الاشجار المثمرة ورأينا بينها شجراً غريباً طول الورقة منهُ اربعة اذرع وعرضها نصف ذراع يقال لهُ في لغتهم موز وثمرهُ يشبه الخيار واما طعمهُ فسكري وفي البستان كثير من شجر البرتقال والليمون والتوت

وفي ٣ مايو ركبنا مركباً كبيراً الى القاهرة تبعهُ اربعة اجرام لحمل الامتعة والصناديق وفي صباح اليوم التالي وصلنا الى بلدة يقال لها فوّه وهي عامرة كثيرة السكان وتجارتها واسعة الى الداخلية وفيها اسواق كثيرة مسقوفة على الطرز الشرقي . ثم واصلنا سيرنا في النيل وكنا نرى على الشاطئين السواقي التي تدار بواسطة الثيران لري الاراضي ورأينا كثيرين من الاهالي رجالاً وغلماناً عراة الابدان

وفي ٦ منهُ وصلنا الى مدينة بولاق وهي مرفأ عاصمة مصر على بعد ميلين منها وهناك استقبلنا ترجمان السلطان ورحب بالسفير بالنيابة عن مولاهُ [1]

وفي صباح اليوم التالي نهضنا عند الفجر لنقل امتعتنا وحملناها على اربعين جملاً وبغلاً كل واحد منها بجلال بجلال من الجوخ الاحمر مطرز الحواشي وعلى دائرهِ الصفف الذهبية وعليهِ شارة اسرة السفير ودوقية البندقية . فركب السفير على جوادٍ عربي مطهم وركب رجال السفارة والحاشية وراءهُ على جياد وبغال مرسلة من الاسطبل السلطاني . وسار في ركاب السفير اربعة غلمان من المماليك متردون بثياب زاهية ترمزية . وارسل السلطان مهمندارهُ الخصوصي [2] مع شرذمة من المماليك والانكشارية السلحين لاستقبال سيادتهِ

(١) قال السائح ترفو في رحلتهِ سنة ١٥١٢ ان هذا الترجمان كان ايطالياً من تجروان التابعة لدوقية البندقية وكان تاجراً في مصر ثم اقبل الاسلام بعد ان تعلم اللغة العربية فجعلهُ السلطان قانصوه الغوري ترجماناً خصوصياً لهُ وقربهُ اليهِ ورفعهُ لقب الامارة فدعي الامير بولس الترجمان بعد ان خلط على ترجمانهِ السابق تاظريدي الاسرائيلي المار ذكرهُ واقصاهُ من خدمتهِ

(٢) كان مهمندار السلطان الغوري وقتئذٍ الامير اردمير كما جاء في ابن اياس وكانت وظيفتهُ مقاومة الفواصل واستقبال السفراء والاجانب ومرتبتهُ رئيس الشربخانات الآن او كبير امناء السلطان

فركب المماليك الخيل وكلهم بثياب زاهية مقصبة وتبع السفير نحو عشرين شخصاً من تجار البنادقة في مصر مع رئيسهم وكانوا قبل وصول السفير مكبلين بالحديد في السجن

فدخلنا بمون الله الى عاصمة السلطنة بهذا الموكب الحافل البهج ووصلنا الى القصر الذي اعدهُ السلطان لنزول السفير كضيف لهُ وهو من القصور العظيمة الباذخة وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء واعمدة الرخام والمرمر وسقوفهُ منقوشة بالذهب والرسوم الملونة وابوابهُ من الابنوس المرصَّع بالصدف وقطع العاج والنقوش الذهبية وداخلهُ الحدائق والفساقي وعلى جدرانهِ الصور البديعة الرسم والزهور وقد صرف على بنائهِ مائة الف دوقة ذهب[1] وفي صباح اليوم التالي ارسل السلطان الى السفير الهدايا الآتي ذكرها مبالغة في حسن الضيافة وهي اربعة واربعون رغيفاً كبيراً معجونة بالزبدة والسكر وزن الرغيف منها اربعة ارطال خمس جرار كبيرة من العسل الهندي . جرتان من السمن الخالص . اربعون خروفاً . خمسون زوجاً من الدجاج . عشرون وزة . كيسان من الارز . وصلت هذه الهدايا مع مماليك السلطان فامر السفير ان يوزع عليهم عشر دوقات ذهب

مقابلة السلطان

وفي اليوم العاشر من شهر مايو ذهب السفير لمقابلة السلطان المقابلة الاولى الرسمية وكانت على هذه الصفة : اقبل في الصباح المهتدار مع الترجمان ليصحبا السفير الى القلعة فركب جواداً مطهماً بعد ان تردى بثوبهِ الدوقي الرسمي وهو من الديباج المطرز بالقصب الذهبي فوقهُ رداء من الجوخ المنسوج بالذهب تتدلى السجف الذهبية من حواشيهِ واطرافهِ وعلى صدرهِ وسام القديس فرنسس الشريف . ولما يتقلد السيف احتراماً للسلطان وركب معهُ رجال السفارة والقنصل والحاشية والاتباع على الجياد والبغال المرسلة من الاسطبل السلطاني ومشى حولهُ اربعة من غلمان المماليك الصغار وكلهم باثواب قرمزية زاهية . فسرنا في شارع طويل الى ان وصلنا الى ميدان فسيح حيث ملعب الخيل والسباق . ولما وصلنا الى القامة ترجل السفير واتباعهُ فصعدنا اربعين درجة في سلم عريض الى بوابة القلعة الاولى وكان هناك كثيرون من فرق الجند الانكشارية . ثم اجتزنا اربعة ابواب اخرى ووراء كل

(١) ذكر تودد هذا القنصل في رحلتهِ فقال ان القصر الذي اعدَّ السلطان الغوري لسفير البندقية بناهُ السلطان قايتباي لزوجتهِ السلطانة ام ابنهِ الملك الناصر محمد وزخرفهُ بكل انواع النقوش الثمينة والمرمر والحجارة الكريمة

باب جمع من الحرس والمماليك . وبعد البوابة الرابعة عرصة واسعة على جانبيها دكتان مرتفعتان جلس على احداها الاميران قومندان القلعة[1] وعلى مقربة منهُ عشرة من المماليك الغلمان يعزفون بالمزمار و يقرون على الطبول و يقرعون الصنوج النحاسية ترحيباً بالسفير . فلما دخلنا نهض امير القلعة وحيا السفير بحناية الراس ففعل هذا مثلهُ

ثم اجتزنا ثلاثة ابواب اخرى ودخلنا الى ميدان صغير جدرانهُ على الجانبين مزينة بكل انواع الاسلحة من رماح وسيوف وخوذ وتروس ونبابيت حديدية وخناجر وغيرها . ورأينا نفراً من الحدادين وصانعي الاسلحة يصنعون السيوف والرماح فوقف السفير امامهم هنيهة . ولما جاوزنا هذا الميدان ذهب هؤلاء العمال فاستدللنا من ذلك ان امير القلعة جعلهم في طريق السفير ليريهُ كيفية اهتمام السلطان بصنع الاسلحة المصرية

وعندما وصلنا الى الميدان الاخير اطلقت من قلعة القاهرة مدافع التحية للسفير . ثم اجتزنا اربعة ابواب ودخلنا في اخرها الى ايوان واسع مكشوف وكان غاصاً بالمماليك ورجال الديوان السلطاني ومفروشاً كلهُ بالسجاد والقطيفة . وكان السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري جالساً في صدر هذا الايوان على دكة مرتفعة عن الارض ومتربعاً على مقعد من الدمقس وواضعاً يدهُ اليمنى على وسادة كبيرة عليها سيفهُ وترسهُ وهما على الدوام بجانبهِ اينما جلس . وكان على رأسهِ عمامة بيضاء كبيرة تشبه في شكلها تاجاً يزنطياً ملفوفة طياتها لفاً محكماً يخرج طرفاها من الامام كقرنين بارزين طول الواحد منهما نصف ذراع . وكان متردياً بثوب قطني ابيض فوقهُ رداء اخضر غامق وعلى كتفيهِ مطرف من صوف . وكان عن يمينهِ عشرون من القواد والامراء والوزراء وعظماء السلطنة وكلهم واقفون حاشمين وهم على مثال السلطان متردون بثياب بيضاء وعلى رؤوسهم العمائم الكبيرة على اشكال مختلفة بين مستطيلة واقفية وعرضية . وكان على الجانب الاخر جمع من الاعيان والامراء وحكام البلاد . فتقدم السفير واتباعهُ وعلى جانبيهِ اربعة من الغلمان ابناء التجار البادقة يحملون ذيول ردائهِ الكبير لئلا يعثر بها . ثم رفع تبعتهُ وهي من الحمل مزركشة بالقصب الذهبي على دائرتها وحنى رأسهُ كثيراً الى ان مس الارض بانامله ثم مسّ بها شفتيهِ وجبهتهُ وتقدم بضع خطوات واعاد السلام كما فعل اولاً وعاد فسار خمس خطوات ووصل الى الحد الاخير للمقابلة

(١) كان يلقب هذا القومندان بنائب القلعة . وكان وقتئذٍ الامير ترقات باي الشلي كما جاء في ابن اياس في تاريخ سنة ٩٢٩

وكان بينهُ وبين مجلس السلطان مسافة عشرين قدماً مفروشة بطنفسة خضراء نفيسة ثمينة من الحرير المخملي لا تفوش فيها ولا يسمح لاحد ان يطأها بحذائهِ . فوقف السفير عند هذا الحد ووراءهُ اتباعهُ وحنى رأسهُ المرة الثالثة حتى مس الارض بانامله . ثم اخرج من جيبهِ كتاب صاحب السمو والمقام المحترم دوق البندقية وهو مكتوب بحروف من ذهب على ورق بنفسجي فاتح اللون وعلى غلافهِ اربع شرائط (كوردون) من الحرير البنفسجي معقودة اطرافها الاربعة بانشوطة وعليها ختم حكومة البندقية من شمع ذهبي وتتدلى من اطرافها الاخرى اربع اكر صغيرة او رمانات من الذهب الخالص . فادنى السفير الكتاب من شفتيهِ ولثمهُ ووضعهُ على جبهتهِ . ثم اعطاهُ للمهمندار وهذا تقدم ووضعهُ بين يدي السلطان فاخذهُ ونفض غلافهُ واعطاهُ لترجمانهِ الواقف بجانبهِ فقرأهُ هذا علناً باللغة اللاتينية ثم عاد فقرأهُ مترجماً باللغة العربية[1] ثم اشار السلطان الى مهمندارهِ ان يسأل السفير عن صحة الدوق وكان المهمندار يتلقى الاوامر والاسئلة من السلطان بصوت منخفض ثم يرجع ويقف امام السفير ويبلغهُ كلام السلطان بصوت طلق ولما انتهت المقابلة تراجع السفير اربع خطوات الى الوراء ووجههُ نحو السلطان ثم حنى رأسهُ كثيراً ولثم الارض وخرج وهكذا فعل رجال السفارة اتباعهُ

وعند وصولنا الى القصر امر في السفير ان آخذ الهدايا المرسلة من حكومة البندقية الى سلطان مصر وان اقدمها لهُ فحملها اتباعنا وخدمنا وصحبنا ترجماننا الدمشقي فلما بلغنا القلعة ادخلنا المهمندار مع الهدايا الى السلطان فوضعها الحمالون امامهُ وخرجوا فامر ان يوزع عليهم عشرون دوقة ذهب . فوقفت وعرضت الهدايا عليهِ الواحدة بعد الاخرى فامر نظرهُ عليها ثم امر ان تنقل الى داخل القصر . وكان السلطان وقتئذٍ جالساً في ايوان مسقوف غير الايوان الذي استقبل فيه السفير وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء الارجوانية اللون وقطع المرمر والحجارة النادرة وسقوفهُ مزينة بالنقوش والرسوم والازهار البديعة المذهبة . وكان السلطان جالساً امام احد النوافذ المطلة على الحديقة السلطانية . وكل الشبابيك مشبكة بعوارض من المعدن الابيض بدلاً من الحديد . وكان جالساً ويدهُ على وسادة طيها سيفهُ

(١) ان المكتب والرسائل الاصلية التي تبودلت بين دوقية البندقية وسلطان مصر والخطاب الذي قاه يو السفير امامهُ والمحاضرات السلمية والتجارية بينها محفوظة كلها الى الآن في المكتبة الكبرى بباريس

وترسهُ وقدماهُ حافيتان. وعلى رأسهِ عمامة على شكل عمامة امير البحر في الاسكندرية ولكنها ليست بذات قرون

وكنت على بعد خطوتين منهُ اريهِ الهدايا فتجرأت على التفرس فيهِ خلسة حتى تنطبع صورتهُ في مخيلتي وانقلها بالرسم[1] فعلى وجههِ ملامح النبل والتحفظ والحذر والانفة وهو مهيب الطلعة في الستين من عمرهِ بلحية سوداء وخطها الشيب اسمر اللون بدين الجسم ربع القامة . هذا هو الملك الاشرف قانصوه الغوري سلطان مصر وسورية وما بين النهرين والبلاد العربية

ثم التفت نحو ترجماننا الدمشقي الواقف ورائي وقال لهُ باللغة العربية قل للحضرة السفير اني مسرور من هذه الهدايا وقد حازت عندي القبول غير اني مسررت اكثر بتعرفي بهِ فقد توسمت فيهِ التعقل والحكمة والرصانة وليس كغيرهِ من الشبان الذين يقبلون اليناً وعقولهم في قبعاتهم لا في رؤوسهم. فلما فهمت هذا الكلام من الترجمان حنيت رأسي واستأذنت في الانصراف ولما وصلت الى قصر السفارة انيل ترجمان السلطان حاملاً عشرين دوقة ذهب وقسمها بيني وبين ترجماننا مكافأة لنا لتقديمنا الهدايا

هدايا حكومة البندقية الى السلطان

وهذا بيان الهدايا الثمينة التي قدمت للسلطان من قبل حكومة البندقية بواسطة السفير:

ثوب من القماش المنسوج بالذهب الخالص المموج بلون بنفسجي طولهُ اثنا عشر ذراعاً وكلفة كل ذراع منهُ ثلاثون دوقة ذهب . وثوب آخر من الجوخ المنسوج بالذهب المموج بلون قرمزي وطولهُ اثنا عشر ذراعاً . وثوبان من الجوخ المنسوج بالذهب لا نقوش فيهما . وثوبان من القماش المطرز بالذهب بلون احمر . وثوبان من الجوخ المذهب بلون اخضر . فجملة الاثواب المنسوجة بالذهب ثمانية . واربعة عشر ثوباً من المخمل الحريري مختلفة الالوان بين قرمزي واحمر واخضر وبنفسجي وفولي واصفر . وستة وعشرون ثوباً من الحرير مختلفة الالوان . وثوبان من الدمقس (داماس) صنع دمشق احدهما باللون الاسكندري (اصفر) والاخر باللون الفولي . وخمسون ثوباً من الحرير الوردي اللون المنسوج بالذهب . واربعة واربعون ثوباً من الحرير الاحمر الوردي اللون وثمانية اثواب بنفسجية فمجموع الاثواب والاقمشة كلها مائة وخمسون ثوباً

(١) هي الصورة التي صورها باغاتي سكرتير السفارة كاتب هذه الرحلة والمرسومة في المقالة السابقة

وثلاث حزم من اثمن انواع الفراء فيها مائة وعشرون فروًا واربعمائة جلد من فرو السمور . واربعة آلاف وخمسمائة جلد من الرق . وخمسون قالبًا من الجبن البندقي وزن كل قالب ثمانون رطلاً . وقيمة هذه الهدايا عشرة آلاف ذهب بندقي

المقابلة الثانية

وفي ١٢ منهُ ذهب السفير مع اتباعهِ لمقابلة السلطان المرة الثانية وكانت على هذا النمط : وصلنا الى ميدان القلعة حيث ملعب الخيل وبجانبهِ حديقة كبيرة غناء تدعى بستان السلطان في وسطها كشك مسند باعمدة من المرمر وارضهُ مرصوفة بالرخام وهذا الكشك قائم بين اشجار مثمرة يصعد اليهِ بدرجات من المرمر وتظلهُ العرائش والزهور وعلى توافذهِ ستائر حريرية تلطف حر الشمس . ورأينا على احد الاعمدة قفصًا مذهبًا بديع الصنع فيهِ طير صغير جميل الشكل يزقزق وكان السلطان متربعًا على مقعد وعلى يمينهِ وسادة فوقها سيفهُ وترسهُ . وعلى راسهِ عمامة مستطيلة ليس فيها قرون . وكان السفير مترديًا بثوب من الديباج المنسوج بالذهب باكام ضيقة فلا دخل حتى راسهُ وقبل الارض كالعادة . وكنت مع ترجمانهِ واقفين عن يسارهِ ثم اقبل المهتدار وترجمان السلطان ووقفا عن يمينهِ وكانت هذه المقابلة ودية خصوصية لم يتكلم السفير في اثنائها عن شيء من شؤون مهمتهِ السياسية . فاظهر لهُ السلطان التلطف والايناس والاكرام وعند تمام المقابلة امر ان يتفرج على البستان فخلنا فيهِ مع المهتدار والترجمان وكان دليلنا رئيس البستانية . والحق يقال ان هذه الحديقة روضة غناء فيها من جميع الاشجار المثمرة بين برتقال وليمون وموز وتفاح واجاص وتين وعنب وتوت وحب الآس وغيرها من الاثمار الشهية وجميع انواع الزهور والرياحين الزكية الرائحة

زيارة الداودار

ولما خرجنا من البستان ذهبنا لزيارة الداودار وهو القابض الآن على زمام الحكم ودفة السياسة بعد السلطان ولما وصلنا الى قصرهِ استقبلنا بترحاب وبالغ في اكرام السفير وقدم لهُ المشروبات في اقداح من الخزف الثمين فاخذ الداودار القدح وشرب اولاً كما هي العادة وشرب السفير بعدهُ . ثم استأذن وخرج ورجع الى قصرهِ وهناك رأينا رئيس البستانية موفدًا من قبل السلطان ومعهُ سلال كثيرة من الفاكهة والاثمار فاعطى السفير ان يعطي خمسة دوقات ذهب مكافأة

هدايا حكومة البندقية الى الحرم السلطاني

وعند الظهيرة اوفد السفير ترجمانهُ مع احد اتباعهِ الى القلعة لتقديم الهدايا الآتية الى زوجة السلطان وحرمهِ وهي عشرة اثواب من المخمل المذهب وهي من الحرير والقماش والجوخ وكلها منسوجة بالذهب الخالص على الوان مختلفة بين قرمزي واصفر وموردي واحمر وثلاثة اثواب من الحرير الرفيع الغالي الثمن صنع مدينة ريمس كلفة الذراع منهُ اربع دوقات ذهب. اما الهدايا المرسلة الى الداودار الكبير فسبعة اثواب ثمينة مختلفة القماش واللون وستة قوالب جبن بندقي وزن القالب اربعون رطلاً. واما الهدايا المرسلة الى المهمندار فخمسة اثواب حرير وقالبان من الجبن

زيارة ناظر الخاصة

وفي ٥ منهُ زار السفير الوزير العظيم ناظر الخاصة مدير الاملاك والخزانة السلطانية[1] ولما وصلنا الى قصره وجدنا عندهُ اربعة كتاب يلقب احدهم بالخواجه وبعض التجار وتاجر السلطان وهو وكيلهُ في جلب البضائع من الهند والشام وبيعها للتجار المصريين والاجانب على حساب سيدهِ وهو رجل اسرائيلي والتقينا هناك بالسر توماس كوتنار بني فنصلنا بالاسكندرية حضر مع بعض التجار البنادقة لتسوية بعض المسائل التجارية مع ناظر الخاصة وتاجر السلطان. وقدم الناظر للسفير حلويات ومشروبات مثلجة. ثم خرجنا من هناك وذهبنا لزيارة كاتب السر الشريف ومكثنا عندهُ نصف ساعة[2] ثم رجعنا الى قصر السفارة وبعد الغداء حضر احد رجال القصر السلطاني ليأخذ السفير ويريهُ بعض الآثار والغرائب. وقد اروانا هذا الرجل في حديقة السلطان حيوانات غريبة لم نرها قبلاً في بلادنا وهي زرافة كبيرة طولها ستة اذرع وفيل صغير يبلغ من العمر سنتين واسدان كبيران كان حارسهما يروضهما على العاب غريبة

دبتري نقولا

---

(١) كان هذا الوزير وقتئذٍ الامير علي بن احمد كما جاء في ابن اياس ومن وظائفهِ ادارة الاوقاف السنية (٢) وظيفة كاتب السر الشريف كانت عند سلاطين مصر من الوظائف الكبرى لكتابة وقراءة الرسائل السرية الخاصة بينهم وبين ملوك الافرنج وسلاطين الاتراك كما جاء في تاريخ سلاطين المماليك لكاترمير وكان كاتب سر السلطان وقتئذٍ محمود بن عجا الحلبي